

الحلقة الثالثة

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، وأكدت على سلطانه الإلهي.

ماذا تفعل صديقي عندما تتعرض للاعتداء؟ هل تقابل الإساءة بالإساءة؟ وهل تقابل الشرّ بالشر؟ أو لا تسعى للانتقام من الشخص الذي أساء إليك؟ قد يكون هذا هو رد الفعل الطبيعي، وهو الذي يتعلّمه كل منّا منذ الصغر. وليس هذا فحسب، بل إن بعض الشرائع السماوية قد أكد على هذه الحقيقة، وسنّ القوانين التي تفرضها. فلقد قال الله قديماً لبني إسرائيل: « وَإِذَا أَحَدٌ إِسْأَنَ فِي قَرِيبِهِ عَيْبًا، فَكَمَا فَعَلَ كَذَلِكَ يُفْعَلُ بِهِ. كَسَرَ بِكَسْرٍ، وَعَيْنٌ بِعَيْنٍ، وَسِنَّ بِسِنَّ. كَمَا أَحَدٌ عَيْبًا فِي الْإِنْسَانِ كَذَلِكَ يُحَدِّثُ فِيهِ » (لاويين ٢٤: ١٩-٢٠)

لقد وضع الله للشعب قديماً شرائع لكي يطبقها ضمناً لاستمرار النظام، و استتباب الأمن. فإذا سُمح للمجرم لكي يفلت من العقاب، تعمّ الفوضى وتسود الجرائم المجتمع. وكان لا بدّ أن يحدد الله العقاب الذي يجب أن يقع على المعتدي، وأن يكون في نفس النوعية والمقدار من الضرر الذي سببه. فإذا كسر المعتدي يد المعتدى عليه أو رجله، أو أذى عينه، أو أي عضو آخر في جسمه. فإن عقابه سيكون كسر يده أو رجله أو إيذاء عينه. لأن هذا ما تقوله الشريعة: « كَسَرَ بِكَسْرٍ، وَعَيْنٌ بِعَيْنٍ، وَسِنَّ بِسِنَّ. كَمَا أَحَدٌ عَيْبًا فِي الْإِنْسَانِ كَذَلِكَ يُحَدِّثُ فِيهِ ».

أما في حالة القتل فتتابع الشريعة لتقول: « مَنْ قَتَلَ إِنْسَانًا يُقْتَلْ » (لاويين ٢٤: ٢١). من الواضح أن شريعة الله سنّت لكي تطبق في مجتمع كان في طور التنظيم. وهذه الشريعة تساعد لكي يحفظ النظام في المجتمع و لكي يستتب الأمن فيه، ويمنع من استفحال الجريمة.

مستمعي الكريم، استناداً إلى ما ذكرنا، نجد أن المخلص المسيح في موعظته الشهيرة على الجبل يصرح قائلاً: «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بَعِينٌ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضًا» (بشارة متى ٥: ٣٨-٣٩). إن المخلص المسيح هنا يعلن بكل وضوح بدء عصر جديد، هو عصر ملكوت الله. هذا العصر الذي له أسس ومبادئ جديدة. هذا العصر لا يستند على مبدأ الانتقام القائل: عين بعين وسن بسن، بل على مبدأ المحبة بين البشر والتسامح. وهذا بالطبع لا يلغي دور الدولة في سن القوانين ومعاقبة المجرمين.

أي بتعبير آخر يتحدث هنا المسيح عن العلاقات التي يجب أن تسود بين البشر في المجتمع الجديد. هذه العلاقات التي تستند على مبدأ المحبة والتسامح، وليس على مبدأ الانتقام، ورد الفعل المباشر، ومقابلة الإساءة بالإساءة. هذا المبدأ الذي يؤكد على ضرورة عدم مقاومة الشر بالشر. لا بل ذهب المخلص المسيح إلى أبعد من ذلك إذ دعا لمقابلة الإساءة بالتسامح. وأن نقابل الشر برد فعل إيجابي، فعندما نلطم على الوجه مثلاً، علينا أن نحول للمعتدي الخد الآخر من الوجه، وهذه قمة التسامح. لكن السؤال هو: كيف بإمكاننا أن نطبق هذا المبدأ في حياتنا؟

أما الرسول بولس واستناداً على مبدأ المخلص المسيح هذا فقد كتب قائلاً: « لَا تُجَاوِزُوا أَحَدًا عَنْ شَرِّ بَشَرٍ... إِنْ كَانَ مُمَكِّنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ. لَا تَنْتَقِمُوا لِأَنفُسِكُمْ أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: « لِي النِّقْمَةُ أَنَا أَجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ... لَا يَغْلِبُنَا الشَّرُّ بَلْ اغْلِبِ الشَّرُّ بِالْخَيْرِ» (رومية ١٢: ١٧-١٩، ٢١).

هنا يكرر الرسول بولس ما وضعه المخلص المسيح من مبدأ جديد لعصر ملكوت الله. أن على الذي يريد أن يكون في هذا الملكوت أن لا يجازي أحداً عن شرِّ بشر. بل على العكس عليه أن يغلب الشر بالخير. وأن لا ينتقم لنفسه، لأن الله هو الذي ينتقم له، ويجازي الشرير على شره. وكتب الرسول بطرس إلى المؤمنين بالمسيح أيضاً قائلاً: « غَيْرَ مُجَازِينَ عَنْ شَرِّ بَشَرٍ أَوْ عَنْ شَتِيمَةٍ بِشَتِيمَةٍ، بَلْ بِالْعَكْسِ مُبَارِكِينَ، عَالِمِينَ أَنَّكُمْ لِهَذَا دُعِيتُمْ لِكَيْ تَرْتَوْا بَرَكَةً» (١بطرس ٣: ٩). هنا يؤكد الرسول بطرس على مبدأ المسامحة، وعدم مجازاة الشر بالشر، وعلى فعل الخير مقابل الإساءة.

صديقي المستمع، يبدو واضحاً أن المسيحية سمت بالإنسان إلى مستوى أرفع، وأكّدت على مبدأ المسامحة والغفران، ومقابلة الشر بالخير. ولو طبّق الجميع هذا المبدأ لعاش الناس بأمان وسلام. لكن مع الأسف مازال البعض يصر على مبدأ الشريعة القاسي: عين بعين وسن بسن.

وكنا قد طرحنا السؤال قبل قليل: كيف بإمكاننا أن نطبّق هذا المبدأ الذي وضعه المخلص المسيح في حياتنا؟ وللجواب نقول: إن هذا المبدأ وضعه المخلص المسيح للذين يريدون أن يعيشوا في ملكوت الله. أي الذين انتقلوا من سلطان الظلمة والخطية، وأصبحوا من أولاد الله ومن رعايا الملكوت. إذن إن السؤال الذي يجب أن نطرحه الآن هو: كيف بإمكان الإنسان أن يدخل إلى ملكوت الله؟

والجواب هو: أن الله قد أرسل المخلص المسيح لكي يبدأ عصراً جديداً، هو عصر ملكوت الله. وكان على المسيح لكي يبدأ هذا العصر الجديد، أن يموت على الصليب تكفيراً لخطايا الجنس البشري. أي مات المسيح البار كلمة الله الأزلي، عوضاً عنّا نحن البشر الخاطئة، أخذاً عقاب خطايانا. ثم قام من بين الأموات غالباً، وصعد إلى السماء حياً. وهكذا إن كل من يتوب عن ذنوبه ويؤمن بفداء المسيح لخطايه يصبح من أولاد الله، ويدخل بالتالي إلى ملكوت الله. ويستطيع عندئذ أن يسلك في مبدأ التسامح.

ألا تود مستمعي أن تصبح من رعايا ملكوت الله؟ لما لا تتوب الآن وتؤمن بموت المسيح الكفاري من أجلك على الصليب. وعندها تغدو من أولاد الله، ويصبح بإمكانك أن تطبّق مبدأ التسامح والغفران على حياتك. فهل تراك تفعل؟